

على هامش أسبوع البر :

الخدمة الاجتماعية لا تزال بكرة في كل ميدان

سأل أحد مندوبي الصحف حرم رفعة رئيس الوزراء عن المشروع الذي تنوى أن توجه إليه المبالغ المجموعة من أسبوع البر ، فأجابت بأن هذا يتوقف على مدى التبرعات وعلى قيمة ما يجتمع في النهاية ، فالمبلغ الذي يصلح لمشروع قد لا يصلح لمشروع آخر .

وقد خطر لي بعد ما علمت أن مجموع التبرعات قد وصل إلى نحو مائة ألف من الجنيهات أن أفكر في أهم مشروع يمكن أن توجه إليه هذه المبالغ .

وما كدت أعرض المسألة هذا العرض حتى تفتحت أمام عيني ميادين الخدمة الاجتماعية في هذا الوطن المحتاج وكلها لا يزال بكرة لم تمسه يد أو مسته مسا خفيفاً لا يعد شيئاً بالقياس إلى ما يجب أن يكون أى مشروع هو أولى وأجدد من سواه : مراعاة الطفل ؟ دور كفالة الأطفال المشردين ؟ مساعدة وإطعام الأسر الفقيرة ؟ تغذية الهمال ؟ عشرات من أمثال هذه العنوانات ؟

كل مشروع هو أولى بالتقديم ، لأن الحاجة ماسة إليه في الصميم ! وذلك مقياس الموجود والمطلوب من الخدمات الاجتماعية المنتشرة في جميع البلاد المتحضرة . فلنقل كلمة سريعة عن بعض هذه الخدمات :

مراعاة الطفل :

لكل طفل الحق في أبوين صحيحين ! ولكل طفل الحق في الحياة . ولكل طفل الحق في العناية الواجبة ولا سيما في أيام طفولته الأولى التي لا يستطيع فيها الاهتمام بنفسه .

هذه مبادئ مقررة في جميع بلاد العالم المتحضر ، قررتها هذه البلاد بعد أن تفتتت إلى أن الطفولة ثروة أنفس من ثروة المال ، لأنها منبع الرجال والنساء الذين ينتجون ثروة المال وذلك بغض النظر عن المبادئ الإنسانية التي توحى بهذه المبادئ في رعاية شؤون الطفولة .

ولتحقيق المبدأ الأول شرعت قوانين السلامة الجسدية والعصبية فيمن يعتمون الزواج . هذه القوانين التي دار الحديث عنها منذ عام ثم أسدل عليها الستار ، شأنها شأن كثير من المشروعات التي تطوى لمجرد تغيير الهيئة الحاكمة ، كأن مصالح الوطن الرئيسية تختلف في عهد عن عهد ، وتبديل بتبديل الهيئات !

واستحقاق المبدئين الثانى والثالث أنشئت مرا كز رعاية الطفل ، ولم تقصر وظيفتها على العناية بالطفل عند الولادة ومدة الرضاعة ، بل شملت العناية بصحة الأم الحامل تنفيذاً للبداء الأول كذلك .

ومما لا شك فيه أن هذه المرا كز تقوم بوظيفة إنسانية رفيعة ، وهى فى الوقت ذاته شديدة الأهمية ولا سيما فى بلد كعصر يجتمع فيه الفقر والجهل حليغين قوين ضد الطفولة ، فالفقر يعجز الملايين عن العناية بصحة الأمهات وصحة المواليد ، ويعرض الأم والجنين لأمراض التغذية وللأمراض الميكروبية التى يساعده الضعف على تغلقها . والجهل يساعده الفقر فى إهمال كل عناية صحية بالحامل والوليد .

ونسبة وفيات الأطفال عندنا نسبة مروعة نتيجة لهذين العديين الجبارين ، وقد أوردت لجنة المائة مجلس الشيوخ إحصائيتين خطيرتين عن وفيات الرضع ووفيات الأطفال فى مصر وفى البلدان الأخرى نكتفى بتسجيلهما هنا للدلالة على حاجتنا الملحة أكثر من أى بلد آخر لمضاعفة مرا كز رعاية الطفل فى جميع أنحاء البلاد ، قبل أن نرفع رءوسنا أمام العالم المتمدن وقبل أن نزم أننا متحضرون ، وأتينا نعيش فى القرن العشرين !

وهاتان هما الإحصائيتان الرهيبتان :

نسبة وفيات الأطفال فى بعض الممالك فى كل ألف نسمة :

سنة ١٩٣٨	سنة ١٩٣٧	سنة ١٩٣٦	سنة ١٩٣٥	المملكة
٣٦	٣٨	٣٩	٤٠	هولندا
٦٠	٦٤	٦٦	٦٣	ألمانيا
٨٥	٨٥	٨٣	٩٩	النمسا
٧٥	٨٠	٧٥	٧٧	بلجيكا
١٤٤	١٥٦	١٤٤	١٥٤	بلغاريا
٢٢٥	٢٤١	١٠٥	٢٨٨	مالطة
—	١٠٠	١٠٠	١٥١	إيطاليا
١٨٣	١٧٨	١٧٥	١٥٢	رومانيا
—	١٦٢	١٦٣	١٦٤	الهند
—	١٦٥	١٦٤	١٦١	مصر
٢٣٦	٢٤١	٢٥٢	١٥٢	شيلي
٥٢	٥٨	٥٠	٥٧	انجلترا وويلز
—	١٠٦	١١٧	١٠٧	اليابان

نسبة وفيات الرضع في مصر وغيرها سنة ١٩٣٧ :

النسبة في كل ألف من السكان	المملكة	النسبة في كل ألف من السكان	المملكة
٨٩	النمسا	٢٦٥	مصر
٨٠	بلجيكا	١٦٢	الهند
٦٤	ألمانيا	١٥٠	بنغاليا
٥٨	انكلترا	١٠٩	إيطاليا
٣٨	هولندا	١٠٦	اليابان

دور كفالة الأطفال المشردين :

قلنا إنه أصبح من المبادئ المقررة أن لكل طفل الحق في الحياة والحق في العناية بشأنه ، ونظرة إلى طرقات القاهرة وأزقتها وأفاريز طرقاتها تكفى للدلالة على المدى السحيق بيننا وبين تنفيذ هذه المبادئ الإنسانية. ففى كل مكان نجد الطفولة المشردة أشكالا وألوانا ، وكلها تلتقى فى طابع البؤس ، ومظهر الرثاثة ، وأمراض المرض والهزال ، وروح الحذر والتلصص .

هذه الطفولة المشردة كنوز مبعثرة تسرف فيها إسراف السفیه الذى لا يجد من يجبر عليه وهو يبعثر ذخائره ذات اليمين وذات الشمال بلا حساب . وبدلا من أن تكون من هذه المينات الصغيرة أركاناً فى بناء المجتمع نحولهم إلى مرضى وذوى عاهات ، ولصوص ونشالين وسامرة أعراض و"بلطجية" إلى آخر القائمة التى يتعب المسئولون أنفسهم ويتعبون البوليس والخزانة العامة فى انقضاء شهورها وتوقيع جرائمها . التى يلقى منها المجتمع شرما يلقاه مسرف سفیه يبعثر كنوزه بلا حساب ، ويستبدل من الأزهار والثمار الشبه أشواكا وثمارا مرة

وفى مصر هيئات محدودة الموارد تحاول القيام بشئء فى ميدان هذه المعركة ، تحاول أن تسترد شيئا من هذه الكنوز الضائعة ، وأن تصلح شيئا مما أفسدته يد الفقر والمرض والجريمة والإهمال ونسوة والأثرة . ولكن هيئات أن تستطيع شيئا هاما ، وهذه موارد ضيقة ضئيلة ، وتلك جهودها محدودة قليلة .

وقبل أن يسير السائر في طرقات المدائن والقرى فلا يرى هذه الوجوه الذابلة وتلك الأجسام الهزيلة وهذه العيون المنلصصة وتلك الخطوات المذعورة . قبل هذا يجب أن لا نزعم أننا متحضرون وأنا نعيش في القرن العشرين .

مساعدة وإطعام الأسر الفقيرة :

لكل آدمي الحق في أن يأكل ويشرب ليعيش . هذا مبدأ تقرره الإنسانية في جميع العصور وتقرره المبادئ الاجتماعية الحديثة بعضها بالإداحة وبعضها عن طريق القانون . " فالجوع محظور على الدائميين " هذه مادة أساسية في دستور الدائمركه !

وفي مصر عائلات فقيرة تجوع ، تجوع أياما كثيرة في السنة جوعا حقيقيا ، وتجوع كل أيام السنة من ناحية عدم كفاية الغذاء وعدم توافر المواد الضرورية فيه . ويجانبها عائلات أخرى قليلة نسبيا تأكل حتى تخم وتضطر إلى المسهلات وأدوية التخمة معظم أيام السنة كذلك !

وقد قامت في مصر جماعة بإشراف وزارة الشؤون الاجتماعية لمساعدة وإطعام الأسر الفقيرة . وبدأت تجربتها في ثلاثة أحياء بالقاهرة ، وكانت التجربة الأولى مشجمة فجمعت ما يكفي العائلات الفقيرة المقصودة من هذه التجربة شهرا كاملا .

بدأت هذه الجماعة عملها بالنشاط المجهود في بدء كل عمل مصري وبالضجة المعروفة حول كل عمل ، وأخشى أن يكون فنور الصيف سببا في فنور دائم ، وعملها ضروري كل الضرورة في مثل ظروفنا الحاضرة .

إن الإحسان المباشر عمل لا ترصيه القواعد الاجتماعية الحديثة لما فيه من غضاضة على كرامة المحسن إليهم ، وما فيه من شعور بالتفضل من المحسنين . ولكننا في مرحلة بدائية من مراحل الخدمة الاجتماعية فيجب الانحجج عن سلوك أي طريق نوفره للعوزين بعض الضروريات . وطريق هذه الجماعة طريق خير فلا يصح أن نتف عن متابعة الخطو فيه .

وهي تجربة قد نجحت فبئس تعجبها في جميع أحياء القاهرة — إن لم نقل في كل مدينة وقرية — وهذه التجربة هي مقياس لما في نفوس الشعب من مروءة ونجدة . ونحن في حاجة أن نقيس هذا الرصيد بين آن وآخر ، وأن نحرك هذه العاطفة في النفوس تحريكا مستمرا ، مادما لا نجد الشجاعة الكافية لنفرض هذه التكاليف فرضا على القادرين !

وقبل أن تصل الخدمات الاجتماعية إلى كل بيت من البيوت المحتاجة إلى المساعدة والغذاء ، يجب ألا نزعم أننا متحضرون ، وأنا نعيش في القرن العشرين !

تغذية العمال :

في إنجلترا حيث يبلغ دخل العامل ثلاثة أضعاف دخل العامل المصرى على الأقل وجدوا أنفسهم بعد الغلاء مضطرين إلى مساعدة العمال مساعدة مباشرة بالطعام ، ف اتخذت هيئات الخدمة الاجتماعية الإجراءات الآتية :

١ — فتح مطاعم متنقلة يتناول فيها العمال غذاءهم بثمان قليل .

٢ — تقديم وجبة طعام مجانية لفقراء العمال .

٣ — توفير اللبن للرضى والناهين والأطفال في أحياء الطبقات العاملة بالمجان .

هذا في إنجلترا ، أما في مصر فأمرأض التغذية تهد قوى العمال ، وتحرم البلاد نصف مجهودهم ونصف إنتاجهم ، وتعجل بعجزهم عن العمل حيث لا يجدون لهم ما جا ، وتسرع بهم إلى القبور حيث يخلفون وراءهم أرامل ويتأذى يتعرضون للشرور الاجتماعية وللسقوط والشرور .

ولم توجد إلى اليوم هيئة أو جماعة تعنى بغذاء العمال . ولو وجدت هذه الجماعة لوجدت يدها بعد قليل مشلولة لثقله المال ؛ لأن النفوس لم تتفتح بعد للمطف الإنسانى ، ولا للواجب الاجتماعى .

يجب أن يجد كل عامل غذاءه الضرورى بثمان مناسب أو بالمجان عند المعجز عن هذا الثمن . وقبل ذلك يجب ألا نزعم أننا متحضرون وأننا نعيش في القرن العشرين !